الباب الرابع

تحليل الموضوعي لبعض الآيات التي ذكرت عن الحرب والسلام

4,1 تعريف الحرب .

4,2 مفهوم الحرب .

4,3 مشروعية الحرب .

4,4 تحليل لبعض الآيات التي ذكرت عن الحرب .

4,5 تعريف السلام .

5,6 مفهوم السلام .

5,7 مشروعية السلام .

5,8 تحليل لبعض الآيات التي ذكرت عن السلام .

Prince of Songkla University Pattani Campus

4,1 تعريف الحرب لغةً واصطلاحاً :

4,1,1 الحرب لغةً :

أن الحرب في اللغة (بفتح الهاء وسكون الراء) هي نقيض السِّلم ، ولفظها مؤنث ، وقد تذكر نادراً وأصلها الصفة ، كما يقول القائل : كأنها مقاتلة حرب ، وجمعها حروب ، وقد جاء هذا اللفظ بمعنى " القتال " في قوله تعالى : ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ . (سورة البقرة : الآية 279). وكذا في قوله تعالى : ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾. (سورة المائدة : الآية 64) . وذلك في وعيده لأهل الربا كما فسَّرها الطبري في جامع البيان . (الطبري ، 1995م : 157/4) .

فقد حقق السهيلي[112] أن الحرب هو الترامي بالسهام ، ثم المطاعنة بالرماح، ثم المجالدة بالسيوف ، ثم المعانقة والمصارعة إذا تزاحموا . (الزبيدي ، 1306هـ : 398/1) . وفي اللسان : الحرب أنثى وأصلها الصفة ،وتصغيرها حُريب بغير هاء ، رواية عن العرب ، لأنه في الأصل مصدر ، ومثلها ذُريع وقُويس وفُريس ، أنثى كل ذلك يصغر بغير هاء . (ابن منظور ، 1992)

ودار الحرْب: بلادُ المشركين الذين لا صُلْحَ بينهم وبين المسلمين. (الفراهيدي ، 1988م :1: 361) .

---

[112] السهيلي هو عبد الرحمن الخثعمي الأندلسي (1114_1185هـ) ولد في السهيل (الأندلس) وتوفي في مراكش ، تعلم في غرناطة وأشبيلة ، كفّ بصره وهو في 17 من عمره ، من مؤلفاته " الروض الأُنف في تفسير سيرة ابن هشام " (المنجد ، 1927م : ص267) .

Prince of Songkla University Pattani Campus

والحرب دفع بشدة عن اتساع المدافع بما يطلب منه الخروج ، فلا يسمح به ويدافع عنه بأشد مستطاع . ذكره الحرالي[113] . وقال الراغب[114] : المنازلة ، والمقاتلة ، ومنه محراب المسجد ، لأنه موضع محاربة الشيطان والهوى ، أو لأن حق الإنسان فيه أن يكون حريبا من أشغال الدنيا أي مسلوبا عنها ومن توزع الخواطر فيه . (محمد عبد الرؤوف المناوي ، 1410هـ : ص 272) .

4,1,2 تعريف الحرب اصطلاحاً:

قال رسول الله ﷺ : " الحرب خدعة " (البخاري ، حديث رقم : 2804) . وهذا عند جميع العقلاء أيضاً.

وقال الإمام علي كرّم الله وجهه : " كن في الحرب بحيلتك أوثق منك بشدتك ، وبحذرك أفرح منك بنجدتك ، فإن الحرب حرب المتهور وغنيمة المتحذر.

وقيل: المكر ابلغ من النجدة.

وقيل: حازم في الحرب خير من ألف فارس ، لأن الفارس يقتل عشرة وعشرين، والحازم قد يقتل جيشاً بحزمه وتدبيره.

وقيل: الحرب صعبة مُرة والصلح أمن ومسرة.

وقيل: الفتنة نائمة فمن أيقظها فهو طعامها.

وقال عمرو بن معدي كرب: الحرب هي مرة المذاق إذا شمرت عن الساق ، مَن صبر فيها عرف ومَن ضعف عنها تلف.

---

[113] الحرالي هو علي بن أحمد بن الحسن الحرالي التجيبي أبو الحسن ، مفسر ، من علماء المغرب ، أصله من (حرالة) ، ولد ونشأ في مراكش ، ورحل إلى المشرق وتصوف ، ثم استوطن بجاية ، توفي في حماة (بسورية) سنة 638هـ ، من كتبه " مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل " في التفسير . (الزركلي ، 1999م : 256/4) .

[114] الراغب هو الحسين بن محمد بن المفضل أبو قاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب ، أديب ، من الحكماء العلماء ، من أهل أصبهان سكن بغداد واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي ، توفي سنة 502 هـ ، من كتبه " محاضرات الأدباء " و " الذريعة إلى مكارم الشريعة " . (الزركلي ، 1999م : 255/2) .

Prince of Songkla University Pattani Campus

وصف رجل الحرب فقال: أولها شكوى وآخرها بلوى وأوسطها نجوى. (الاصفهاني ، 1408هـ : 3/ 134 _ 176) .

وقال أيضاً الحرب: بأنها نزاع مسلح ينشأ بين دولتين أو اكثر لأسباب سياسية أو دينية أو اقتصادية أو إقليمية.

الحرب كما يقول كلاوزفيتز : ليست إلا متابعة لتحقيق الأهداف السياسية العليا للدولة ولكن بالقوات المسلحة، أي بوسائل القوة والعنف.

ويقول كلاوزفيتز أيضاً الحرب: عمل عنف يقصد منه إجبار خصومنا على الخضوع لأرادتنا، وهي ليست مجرد عمل سياسي، ولكنها أداة سياسية حقيقية وامتداد للسياسة بوسائل أخرى ، أي هي أداة سياسية لحماية مصالح الدولة وتوسيع دائرة نفوذها. (الأشقر ، 1404هـ : ص6) .

يمكن تعريف الحرب من وجهة النظر السياسية بأنها: جملة أعمال القوة التي تقوم بها دولة ما، أو جماعة دولية، لإجبار الخصم على الانصياع لإرادتها.

وأن الحرب أيضاً : هي استخدام القوة بين جماعتين من البشر، تخضعان لنظامين متعارضين لهما مصالح متعارضة.

وتعريف الحرب بمعناها العسكري: هي فن تحقيق مطالب جماعية باستخدام القوات المسلحة، وهي تخضع للسياسة العسكرية، وتطبق الاستراتيجية العليا والعمليات والتكتيك. (عادل كمال أحمد ، 2005م : ص8) .

ومن هنا يمكننا القول إن هدف الحروب واحد لا يتغير ألا وهو: التغلب على الخصم لإجباره على قبول وضع معين لم يكن يرضى به قبل الحرب.

4,2 مفهوم الحرب :

لعل مسألة الحرب من الإشكاليات الهامة التي نالت اهتمام الفلاسفة والمفكرين ، وكذلك الزعماء والقادة في جميع العصور التي شهدتها البشرية .

Prince of Songkla University Pattani Campus

وتعود هذه الأهمية لعدة اعتبارات ، من ضمنها أن الحرب تعد العامل الرئيس ، أو الحاسم ، في إعادة تشكيل العلاقات بين الشعوب أو الدول أو الحضارات .

ذلك أن الحرب كما يصفها الفيلسوف الإغريقي هرقليطس[115] هي أم جميع الأشياء " فهي تجعل من بعضهم آلهة ومن آخرين عبيداً أو رجالاً أحراراً " .

ومن ثمة سوف يكون من الصعب ، فهم طبيعة الصراعات بين الأمم ، سواء في الحقب الموغلة في القدم أو في العصور الحديثة إذا لم نفهم الأسباب الكامنة وراء قيام الحروب ودوافعها . ولا ريب أن الطبيعة المعقدة للمجتمعات البشرية ، جعلت ظاهرة الحرب من ظاهرات الاجتماع والعمران الجديدة بالتأمل والدراسة نتيجة أنه بالحرب تثبت الحضارات أو تزول ، ونظراً للدور المحوري للمعارك ، في تشكيل أبرز المعالم التاريخية ، وكذلك لكون جعل الصراعات بين المجتمعات عبر العصور ، تقوم على الحروب ، من أجل التحكم والسيطرة والاحتواذ على مقدرات العالم وثروته . (خير هيكل ، 1996م : ص5) .

من هذا المنطلق أكد الفيلسوف أرسطو[116] في كتابه (السياسة) بأن فن الحرب مهارة طبيعية للسيطرة والتملك . وتأسيساً على ذلك فإن التاريخ تصنعه المعارك الكبرى ، فالحرب إذن ثقافة ومهارة قتالية ، لهذا لابد من إدراك أبعادها العميقة ، حيث حظيت بالاهتمام من جانب المؤرخ وعالم الاقتصاد وعالم الاجتماع .

---

[115] هرقليطس (480-540 ق.م) هو أحد الفلاسفة اليونانية كتب بأسلوب ملغز وعُرف (بالغامض The Obscure) وغلبت بالكآبة على نظراته تُعرف (بالفيلسوف الباكي The Weeping Philosopher) تأثر بأفكاره كل من سقراط وأرسطو وأفلاطون ، لايعرف المؤرخون عن حياته غير القليل ، وضع كتاباً وحيداً لم يصلنا غير شذرات .

[116] أرسطو (322-384 ق.م) فيلسوف إغريقي عرف باهتمامه بالميتافيزيقيا ، والمنطق ، ويمثل أرسطو في تاريخ الفلسفة الغربية أهمية بالغة بحكم أعماله التي كان لها التأثير على العديد من المدارس والنظريات الفلسفية إلى حد اليوم . ولد الفيلسوف في مقدونيا وتوجه إلى أثينا من السابعة عشر كي يتتلمذ على يد أفلاطون ، أثر وفات أفلاطون شغل خطة مستشار سياسي للطاغية هارمياس . (المنجد ، 1927م : ص13) .

Prince of Songkla University Pattani Campus

4,3 مشروعية الحرب :

أن الحرب ظاهرة اجتماعية قديمة صاحبت الإنسان منذ نشأته على الأرض ، وعبّرت عن طبيعته التي إن كانت تميل إلى السلم ، في حين تلجأ إلى الحرب من أجل حمايته والمحافظة عليه في حين آخر ، بل إن الرغبة في الحرب عند بعض الشعوب البدائية ، هي الغالبة على الرغبة في السلم ، لأن هذه الشعوب تعيش في خوف من انقضاض عدوها عليها فتظل متربصة متحفزة حتى لا يأخذها على غرة ، لذا انتشرت حروب عديدة قبل الإسلام ، وكان معظمها يقوم على أسباب تافهة أو عرض صغير ، إذ كان النظام القبلي هو السائد في الجاهلية ، وكانت القبائل في تخاصم وتطاحن مستمر أشهرها حرب البسوس[117] ، وحرب داحس و الغبراء[118] ، وحرب الفجار[119] .

الحرب في الإسلام حرب مقدسة ، غرضها تطهير الأرض من رجس الكفرة المشركين ، ولقد أقرَّ الإسلام الحرب مع علمه بما تجره على البلاد من ويلات ونكبات لضرورة وقائية ، وعلاج إضطراري ، لا مناص منه لمجابهة الطغيان ، ورفع الظلم والعدوان ، وتطهير الأرض من رجس المشركين الغادرين . (الصابوني ، 1980م : 458/2) .

والحقيقة أن الأمر لم يقتصر فقط على الجزيرة العربية ، بل الظلام الدامس يسر بل أوروبا والغرب ، ودارت هناك صراعات ، تنوعت دوافعها ، وانتهكت فيها الحرمات ، ومازال العالم حتى هذه اللحظة يعاني من ويلات الحروب ، لذا جاء الإسلام

---

[117] حرب البسوس ، وهي حرب وقعت بين قبيلتي بكر بن وائل وتغلب بن وائل من قبائل ربيعة ، ودامت هذه الحرب أربعين سنة .

[118] حرب داحس والغبراء ، وهي حرب وقعت بين قبيلتي عبس بن بغيض وذُبيان بن بغيض من قبائل غطفان التي يرجع نسبها إلى قيس بن عيلان ، ودامت هذه الحرب أربعين سنة .

[119] حرب الفجار ، كانت العرب عموماً يعظمون الأشهر الحرم ، وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب ، ويحرمون القتال فيها ، وإنما كان تحريمها لتمكين الناس ن أداء الحج والعمرة فلا يخافون إغارة القبائل على قوافلهم ، فإذا نشبت في هذه الأشهر الحرم حرب سموها حرب الفجار . (قلعة جي ، 1988م : ص 33_34) .

Prince of Songkla University Pattani Campus

ليخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة ، وليخرجهم من مرحلة النزاع الدائم إلى الرحمة والعدل والسلام ، فضبط الحروب ووضع لها القواعد ، وجعلها لصالح الإنسان قائمة على أسس من العدالة ، وجعل الدافع لها حماية الحق ودفع الظلم ، وبنى قواعدها على أسس ثابتة وأصول محكمة .

ولقد أقرّت الشريعة الإسلامية الحرب ، لأنها ضرورة وأمر واقع ، لكنها تختلف جذريا عن معنى " الجهاد " ، أن رجال القانون الوضعي يستخدمون كلمة حرب بهدف تحقيق مصلحة من مصالح الدولة وفي سبيل نفعها الذاتي ، لذا أختلف المفاهيم ، ولكنها ترتكز على أن الحرب علاقة بين دولة وأخرى ، ولا تتمثل علاقة بين إنسان وإنسان آخر ، لذا تخضع الحرب لقواعد القانون الدولي العام ، الذي ينظمها كما ينظم العلاقات في زمن السلم . (خير هيكل ، 1996م : ص134) .

أن مفهوم الحرب في التشريع الإسلامي ، جهاد في سبيل الله من أجل دعوة إلهية خالصة ، ويلجأ إليها حال وجود اعتداء من عدو ، وهي بهذا المفهوم شُرعت لإعلاء كلمة الله تعالى ، وليست لغرض الاستعمار أو العدوان أو الغضب أو الإذلال للشعوب ، كما يحدث الآن في بعض بقاع العالم .

أما مفهوم الحرب في رأي القانونيين فهي صراع مسلح دام بين الجماعات المنظمة ، لتحقيق غرض سياسي أو اقتصادي ، أو غير ذلك من الأغراض ، لذا تمثل القتل المنظم ، ويلجأ إليها لتحقيق أطماع مادية تدعو إليها مصلحة الدولة ، وهي كذلك إحدى وسائل العنف ، تلجأ إليها الدول لحل ما يقوم بينها من نزاعات ، أو سعياً لتحقيق غاية ، أو مطمع سياسي أو قومي . (علي بن عبد الرحمن الطيّار ، 2006م)

أن المنهج الإسلامي يتخذ أسلوب التدرج المرحلي في كثير من تشريعاته بهدف تهيئة النفوس لتقبل الأمر الشرعي ، وبيَّن أن مراحل تشريع الحرب تشمل (مرحلة الصفح وعدم القتال ــ ثم الإذن بالقتال ــ ثم قتال من قاتل المسلمين) .

أما مشروعية الحرب في القانون الدولي العام ، مبيناً أن الثغرة المهمة في القواعد القانونية الوضعية أنها غير ملزمة للدول ، ولذلك تفتح الباب على مصراعيه كي

Prince of Songkla University Pattani Campus

يعتدي القوي على الضعيف ، وهذا سرّ العلاقات بين الدول حالياً ومكمن خطورتها ، وهناك فارق جوهري بين الشريعة الإسلامية التي تنشد العدل والخير والسلام وتساعد على ذلك من خلال تعاليمها السامية وبين القوانين الوضعية ذات الثوب المثقوب بكثير من الثغرات والنوافذ التي يستغلها أصحاب القوى ، وهذا الأساس تختلف دوافع الحرب في الشريعة الإسلامية عنها في القوانين الوضعية . (الأشقر ، 1404هـ : ص35) .

وتتباين كذلك اداب الحرب ، سواء من ناحية طرق إعلانها ، أو سبل معاملة الفئات غير المقاتلة أو غير المشتركة في الحرب ، والذين أطلقت عليهم الشريعة الإسلامية " أهل الممانعة والمقاتلة " كالنساء والصبيان والشيوخ والمسنين والرهبان والفلاحين والتجار والصناع والأجراء وأصحاب العاهات والمرضى ونحوهم ، وكما تتسم الشريعة الإسلامية بالنظرة الإنسانية وهي أيضاً حرمت الاعتداء على الأشجار الخضراء والحيوانات وعدم تخريب العمار ، ونهى عن عقر الشاة أو البعير إلا للأكل ، وعدم حرق النخيل أو إغراقه ، ونقرأ هذا في وصيته عليه الصلاة والسلام لأمرائه ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ، ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا ، وَلَا تَغْدِرُوا ، وَلَا تُمَثِّلُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا ، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ ، أَوْ خِلَالٍ ، فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ إِلَيْهَا فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ ، وَأَخْبِرْهُمْ إِنْ هُمْ فَعَلُوا أَنَّ لَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ ، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ ، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ " . (أحمد ، 1398هـ : رقم الحديث 21952) .

إذن مشروعية الحرب في نظرية الشريعة الإسلامية فهي وسيلة وليست غاية ، فالحرب هي لضمان مسيرة الدعوة إلى الله ، ونشر العدل ، ولذلك اتّصفت الحرب بأنها حرب إنسانية لا تستهدف إراقة الدماء ، ولا إذلال الرقاب . (قلعه جي ، 1988م : ص 261) .

أما القانون الدولي العام فمازالت قواعده غير مؤهلة لتطبيق أحكامها لأنها غير ملزمة ، وتمتد اللمسات الإنسانية في الشريعة الإسلامية لتشمل عدم التخريب والإتلاف ، ولا التنكيل بالأعداء ، وكذلك حسن معاملة الأسرى ودفن الموتى ، كما اقرّ ذلك بعض المنصفين من غير المسلمين بحسن معاملة المسلمين لغيرهم .

4,4 تحليل بعض الآيات التي ذكرت عن الحرب :

4,4,1 الآية الأولى :

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ . (سورة التوبة : الآية 107).

4,4,1,1 سبب نزول الآية :

سبب نزول هذه الآيات الكريمات ، أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ إليها رجل من الخزرج يقال له أبو عامر الراهب[120] ، وكان قد تنصر في الجاهلية وقرأ علم أهل الكتاب ، وكان فيه عبادة في الجاهلية وله شرف في الخزرج كبير ، فلما

[120] أبو عامر الراهب وهو من أشراف قبيلة الخزرج ، وله مهارة في علم التوراة والإنجيل ، وكان يحدث مبعث النبي ﷺ على أهل المدينة ، فلما بعث النبي وقدم المدينة حسده .

Prince of Songkla University Pattani Campus

قدم رسول الله ﷺ مهاجرا إلى المدينة واجتمع المسلمون عليه وصارت للإسلام كلمة عالية وأظهرهم الله يوم بدر ، شرق اللعين أبو عامر بريقه وبارز بالعداوة وظاهر بها، وخرج فارا إلى كفار مكة من مشركي قريش يمالئهم على حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب وقدموا عام أحد ، فكان من أمر المسلمين ما كان وامتحنهم الله ﷻ وكانت العاقبة للمتقين ، وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين فوقع في إحداهن رسول الله ﷺ ، وأصيب ذلك اليوم فجرح وجهه ، وكسرت رباعيته اليمنى السفلى ، وشجَّ رأسه صلوات الله وسلامه عليه ، وتقدم أبو عامر في أول المبارزة إلى قومه من الأنصار فخاطبهم واستمالهم إلى نصره وموافقته فلما عرفوا كلامه قالوا : لا أنعم الله بك عينا يا فاسق يا عدو الله ، ونالوا منه وسبوه فرجع وهو يقول : والله لقد أصاب قومي بعدي شر ، وكان رسول الله ﷺ قد دعاه إلى الله قبل فراره ، وقرأ عليه من القرآن ، فأبى أن يسلم وتمرد ، فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يموت بعيدا طريدا فنالته هذه الدعوة . (القرطبي ، 1996م : 231/8) .

وفي رواية أنه قبل موته وبعد أن فرغ الناس من أحد ، ورأى أمر الرسول ﷺ في ارتفاع وظهور ، ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي ﷺ ، فوعده ومنَّاه وأقام عنده وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ ويغلبه ويرده عما هو فيه ، وأمرهم أن يتخذوا له معقلا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه ، ويكون مرصدا له إذا قدم عليهم بعد ذلك ، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء ، فبنوه وأحكموه وفرغوا منه قبل خروج رسول الله ﷺ إلى تبوك ، وجاءوا فسألوا رسول الله ﷺ أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم ليحتجُّوا بصلاته فيه على تقريره وإثباته ، وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية ، فعصمه الله من الصلاة فيه فقال :" إنَّا على سفر ولكن إذا رجعنا إن شاء الله " . فلما قفل عليه السلام راجعا إلى المدينة من تبوك ، ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم ، نزل عليه جبريل بخبر مسجد الضرار ، وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم مسجد قباء الذي

Prince of Songkla University Pattani Campus

أسس من أول يوم على التقوى ، فبعث رسول الله ﷺ إلى ذلك المسجد من هدمه قبل مقدمه المدينة . (ابن كثير، 1996م: 510/2) .

4,4,1,2 وجه الدلالة من الآية :

فقد كثر في الآونة الأخيرة الحديث عن مساجد الضرار التي يجب اعتزالها وعن صفاتها وغاياتها وبواعثها، وخاض الخائضون في المسألة بعلم وبغير علم ، وجنح بعضهم إلى الإفراط والغلو والتشدد ، فحكموا على مساجد المسلمين لظنون وشبهات واهية ضعيفة لا ترقى إلى درجة الدليل بأنها مساجد الضرار، وأن الصلاة فيها لا تجوز .

فانعكس ذلك سلباً على أخلاق وسلوك وعبادة المسلمين، فتُركت الجمعة والجماعات، وهجرت المساجد من المصلين ، حتى أصبح من المألوف على المسامع إن سألت أحدهم عن سبب هجره للمساجد والجماعات العامة ، بأن يقول لك بكل بساطة إنها مساجد ضرار، لا تجوز الصلاة فيها .

ولو وقف الأمر على هجره للمساجد بنفسه لهان الخطب، ولكنه لا يكتفي بذلك حتى يشنع على غيره من إخوانه ممن لا يرى رأيه ولا يذهب مذهبه في مساجد المسلمين ، فيرميه بالتخاذل والتهاون وغير ذلك من عبارات التجريح والطعن إلى أن يحمله على هجر المساجد التي هي في ظنه ضرار . فاتسع الخرق، وعم الخطب، وازداد الخطر، واضطرب الشباب بين مؤيد ومعارض ومتسائل خوفاً على صحة صلاتهم وعبادتهم .

أن مرد الحكم على الأشياء إلى الله ورسوله فقط لا غير، وهذا من لوازم وشروط صحة التوحيد والإيمان ، كما قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ . (سورة النساء : الآية 59) . وقال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا ﴾. (سورةالنساء ، الآية : 65) .

من هنا نجد لزاماً على أنفسنا جميعاً أن نرد المسألة المثارة للبحث إلى الكتاب والسنة ، لنرى ماذا يقول فيها ربنا عز وجل . وإليك أقوال بعض أهل العلم والتفسير فيما تقدم .

قال ابن جرير الطبري : فتأويل الكلام : والذين ابتنوا مسجداً ضراراً لمسجد رسول الله ﷺ ، وكفراً بالله لمحادتهم بذلك رسول الله ﷺ ، ويفرقوا به المؤمنين ، ليصلي فيه بعضهم دون مسجد رسول الله ﷺ ، وبعضهم في مسجد رسول الله ﷺ ، فيختلفوا بسبب ذلك ويفترقوا ﴿ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ يقول : وإعداداً له لأبي عامر الكافر، الذي خالف الله ورسوله، وكفر بهما، وقاتل رسول الله ، ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ يعني من قبل بنائهم ذلك المسجد ، وذلك أن أبا عامر هو الذي كان حزَّب الأحزاب لقتال رسول الله ﷺ ، فلما خذله الله ، لحق بالروم يطلب النصر من ملكهم على نبي الله ، وكتب إلى أهل مسجد الضرار يأمرهم ببناء المسجد الذي كانوا بنوه فيما ذُكر عنه ليصلي فيه فيما يزعم ، إذا رجع إليهم ، ففعلوا ذلك ، وهذا معنى قول الله جل ثناؤه : ﴿ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ . (الطبري ، 1995م : 470/6).

والذي دعانا إلى هذا التفصيل النسبي في ذكر سبب نزول آيات مسجد الضرار هو أن يدرك القارئ خطورة مسجد الضرار الذي أمر النبي ﷺ بهدمه وحرقه ، وحجم المؤامرة الضخمة التي كانت تحاك من وراء بناء هذا المسجد المذكور، حتى إن أراد القياس عليه أن يحسن القياس والتقدير، وهذا أمر مهم جداً لكل من أراد أن يبحث ويدقق في شأن مساجد الضرار .

وليعرف القارئ كذلك أن الذي بنى مسجد الضرار هم المنافقون إرصاداً وترقباً لمقدم أبي عامر الكافر ومعه جند الروم ليكون لهم قاعدة ومعقلاً كما سماه ابن كثير ، ينطلقون منه لحرب الرسول ﷺ ، وليس الذي بنى المسجد هو أبو عامر كما ذُكر في بعض كتب التفاسير ، والفرق بين الأمرين والنقلين من حيث الدلالة على حجم خطورة مسجد الضرار الذي استحق الهدم والحرق واضح لكل ذي بصر وبصيرة .

Prince of Songkla University Pattani Campus

4,4,1,3 وجه الاستدلال من الآية :

يتلخص وجه الاستدلال من الآية كما ذكرها الآيات القرآنية في أربعة نقاط هامة وهي:

أولاً : الإضرار والضرر، كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا ﴾ . فكلمة ﴿ ضراراً ﴾ جاءت بصيغة المفعول لأجله ، أي ما حملهم على بناء المسجد شيء إلا من أجل إنزال الضرر والأذى بالمسجد المجاور لهم الذي أسس على التقوى من أول يوم من إنشائه ، وهو مسجد الرسول ﷺ، ولإنزال الضرر كذلك بالجماعة المسلمة المؤمنة والتي على رأسها النبي صلوات ربي وسلامه عليه ، فهم ليس لهم رغبة وهدف من وراء بناء هذا المسجد سوى الضرر والإضرار، وطلبه والسعي لتحقيقه .

فأراد هؤلاء المنافقون من بناء مسجد الضرار إلى جوار مسجد قباء ، أن يفرقوا وحدة المؤمنين ، بأن يجعلوهم يصلون في أماكن متفرقة ، حسداً منهم على نعمة الإخاء والتآلف والاتحاد التي غرسها الإسلام في قلوب اتباعه . (سيد طنطاوي ، 1988م : 296/6) .

ولا يُسمى الشيء ضراراً إلا إذا عُدم نفعه وكان شراً وضرراً محضاً كما هو حال مسجد الضرار المذكور، أو كان ضرره يرجح على نفعه وخيره، كالخمر والميسر ، وفي كلا الحالتين الضرر يُزال ولا يُزال بمثله أو أكثر منه كما في الحديث :" لا ضرر ولا ضِرار، من ضار ضار الله به، ومن شاق شاق الله عليه ". (أحمد ، 1398هـ : حديث رقم 15195) . والقاعدة الفقهية تقول : " الضرر يُزال ".

وفي معنى الضرر والضِرار يقول القرطبي في التفسير : قال بعض العلماء : الضرر الذي لك به منفعة وعلى جارك فيه مضرة . والضرار الذي ليس لك فيه منفعة وعلى جارك فيه المضرة . وقد قيل هما بمعنى واحد ، تكلم بهما جميعاً على جهة التأكيد . (القرطبي ، 1996م : 254/8) .

Prince of Songkla University Pattani Campus

وقال في زاد المسير : ضراراً انتصب مفعولاً له، المعنى: اتخذوه للضرار . وقال والضرار بمعنى المضارة لمسجد الرسول ﷺ . (ابن الجوزي ، د.ت : 500/3) .

وفي روح المعاني : ضراراً ، مفعول له وكذا ما بعده ، وقيل مفعول مطلق لفعل مقدر أي يضارون بذلك المؤمنين ضراراً، والضرار طلب الضرر ومحاولته . (الآلوسي ، د.ت : 17/11) .

ثانياً : أن الغاية من بناء مسجد الضرار الكفر بالله ورسوله، وتقوية للكفر وأهله ، ومحاربة لله ولرسوله وجماعة المؤمنين ، وذلك باستخدامه كقاعدة للمنافقين ومأوى لهم يُحيكون فيه المؤامرات على الدولة المسلمة الفتية ، وكذلك لكي يكون مقراً لأبي عامر الكافر ومن معه من جند الروم عندما يصلون إلى المدينة المنورة ليخرجوا النبي ﷺ وأصحابه منها ، فهم بنوا المسجد وأرادوا منه إضافة للضرار الكفر بالله ورسوله ، والانتصار للكفر وأهله ، كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا ﴾ فقوله: ﴿ وكفراً ﴾ معطوف على ضراراً؛ أي من أجل الكفر والإلحاد والمحاربة، فهم أضمروا هذه النية الخطيرة في قلوبهم منذ اللحظة الأولى من بنائهم وتأسيسهم لمسجدهم المشؤوم . (الفخر الرازي ، د.ت : 193/16) .

قال البغوي في التفسير: ﴿ وكفراً ﴾ بالله ورسوله . (البغوي ، 1993م : 93/4) .

وفي روح المعاني : ﴿ وكفراً ﴾ أي ليكفروا فيه، وقدر بعضهم التقوية أي وتقوية الكفر الذي يضمرونه . (الآلوسي ، د.ت :) .

وفي فتح القدير : فقد أخبر الله سبحانه أن الباعث لهم على بناء هذا المسجد أمور أربعة :

الأول : الضرار لغيرهم ، وهو المضارة .

الثاني : الكفر بالله والمباهاة لأهل الإسلام ، لأنهم أرادوا ببنائه تقوية أهل النفاق .

Prince of Songkla University Pattani Campus

الثالث : التفريق بين المؤمنين ، لأنهم أرادوا أن لا يحضروا مسجد قباء فتقل جماعة المسلمين .

الرابع : الإرصاد لمَن حارب الله ورسوله . (الشوكاني ، 1997م : 403/2) .

وفي تفسير المنار: أرادوا الكفر أو تقوية الكفر، وتسهيل أعماله من فعل وترك، كتمكين المنافقين من ترك الصلاة هنالك مع خفاء ذلك على المؤمنين لعدم اجتماعهم في مسجد واحد، والتشاور بينهم في الكيد لرسول الله ﷺ وغير ذلك . (محمد رشيد رضا ، د.ت : 39/11) .

ثالثاً : من البواعث والغايات التي أرادوها من وراء بنائهم لمسجد ضرار ـــ إضافة لما تقدم ـــ تفريق جماعة المسلمين إلى جماعات ، ليقللوا عدد الذين يجتمعوا للصلاة في مسجد رسول الله ﷺ ، وكذلك مسجد قباء ، وفي ذلك فيه ما فيه من إضعاف للشوكة ، وتشتيت للكلمة ، وإبعاد للمسلمين عن التأثر والتوجيه المباشر من شخص النبي ﷺ . إضافة إلى التقليل من سواد المسلمين في الجماعة الواحدة ، والذي يُعتبر ذلك ـــ أي تكثير السواد في الجماعة الواحدة ـــ مطلباً من مطالب الشريعة ، ومقصداً هاماً من مقاصد صلاة الجماعة .وفي قوله تعالى: ﴿ وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

وفي فتح القدير : أنهم أرادوا أن لا يحضروا مسجد قباء فتقل جماعة المسلمين، وفي ذلك من اختلاف الكلمة وبطلان الألفة مالا يخفى .(الشوكاني ، 1997م : 403/2) .

وفي زاد المسير: كانوا يصلون في مسجد قباء جميعاً، فأرادوا تفريق جماعتهم . (ابن الجوزي ، د.ت : 377/3) .

وقال البغوي في التفسير: لأنهم كانوا جميعاً يصلون في مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيؤدي ذلك إلى الاختلاف وافتراق الكلمة . (البغوي ، 1406هـ : 93/4).

Prince of Songkla University Pattani Campus

وقال القرطبي في التفسير: ﴿ وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي يفرقون به جماعتهم ليتخلف أقوام عن النبي ﷺ .

وهذا يدل على أن المقصد الأكبر والغرض الأظهر من وضع الجماعة تأليف القلوب والكلمة على الطاعة ، وعقدُ الذمام والحرمة بفعل الديانة حتى يقع الأنس بالمخالطة ، وتصفو القلوب من وضَر الأحقاد .

رابعاً : ﴿ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ . أي ترقباً وانتظاراً لمقدم من حارب الله ورسوله من قبل أن يبنى مسجد الضرار، وهو أبو عامر الفاسق الذي جند نفسه لمحاربة الله ورسوله ، وكان قد خاض الحروب العديدة ضد النبي ﷺ قبل أن يبنى مسجد الضرار. والذي كان قد وعدهم ومناهم بأنه سيأتي ومعه جيش الروم ليخرج النبي ﷺ وأصحابه من المدينة المنورة فطلب منهم تمهيداً لذلك أن يبنوا له مسجداً ـــ في الظاهر ـــ ليستغله كقاعدة عسكرية ينطلق منه لحرب الإسلام والمسلمين . فهو مسجد في الظاهر، لكنه في حقيقة أمره قلعة من قلاع الحرب والمكر والكفر . (القرطبي ، 1993م : 164/8) .

قال البغوي في التفسير: أرسل أبو عامر الفاسق إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح ، وابنوا لي مسجداً فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآتي بجندٍ من الروم، فأخرج محمداً وأصحابه من المدينة ، فبنوا مسجد الضرار إلى جنب مسجد قباء، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ ، وهو أبو عامر الفاسق ليصلي فيه إذا رجع من الشام . قوله ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ يرجع إلى أبي عامر؛ يعني حارب الله ورسوله من قبل أي من قبل بناء مسجد الضرار . (البغوي ، 1406هـ : 94/4) .

وفي زاد المسير لابن الجوزي: الإرصاد؛ الانتظار، فانتظروا به مجيء أبي عامر، وهو الذي حارب الله ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار . (ابن الجوزي ، د.ت : 377/3).

وقال محمد رشيد رضا في التفسير: الإرصاد لمن حارب الله ورسوله من

قبل اتخاذ هذا المسجد، أي الانتظار والترقب لمن حارب الله ورسوله أن يجيء محارباً، فيجد مكاناً مرصداً له، وقوماً راصدين مستعدين للحرب معه، وهم هؤلاء المنافقون الذين بنوا هذا المسجد مرصداً لذلك . (رشيد رضا ، د.ت : 248/5).

واتفق المفسرون على أن الذي أغراهم ببناء هذا المسجد لهذا الغرض رجل من الخزرج يُعرف بأبي عامر الراهب، وعدهم بأن سيأتيهم بجيش من الروم لقتال النبي ﷺ وأصحابه .

هذا هو المسجد بصفاته وغاياته وأهدافه الهدامة الخطيرة ـــ الآنفة الذكر ـــ هو مسجد الضرار، وهو المسجد الذي أمر النبي ﷺ بهدمه وحرقه، ونهى عن الصلاة فيه ، من خلال أهدافه وغاياته وبواعثه المبينة من قبل ـــ لم يُنشأ لغرض العبادة أو التعبد، وإنما هو في حقيقته معقلٌ وقلعةٌ عسكرية من قلاع الحرب والكفر والنفاق يُنطلق منها لحرب الله ورسوله ، فهل هكذا هي المساجد التي يشار إليها في زماننا بأنها ضرار .

4,4,2 الآية الثانية :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ . (سورة المائدة ، الآية : 33) .

4,4,2,1 سبب نزول الآية :

اختلف الناس في سبب نزول هذه الآية ، فالذي عليه الجمهور أنها نزلت في العرنيين[121] . روى الأئمة واللفظ لأبي داود عن أنس بن مالك : " أن قوما من

[121] العرينين مفردها عرينه ، وهي قري بالمدينة ، وقيل اسم لقبيلة من العرب . (ياقوت الحموي ، 1979 : 115/4) .

Prince of Songkla University Pattani Campus

عكل[122] – أو قال من عرينه – قدموا على رسول الله ﷺ فاجتبوا[123] المدينة ، فأمر لهم رسول الله ﷺ بلقاح ، وأمرهم أن يشربوا من أبوالها ، وألبانها ، فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعي النبي ﷺ ، واستاقوا النعم ، فبلغ النبي ﷺ خبرهم من أول النهار ، فأرسل في آثارهم ، فما ارتفع النهار حتى جيء بهم ، فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمر[124] أعنيهم وألقوا في الحرة[125] يستقون فلا يسقون " . (القرطبي ، 1965 : 148/6) .

قال أبو قلابة[126] : فهؤلاء قوم سرقوا وقتلوا وكفرو بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله .

وفي رواية : " فأمر بمسامير فأحميت فكحلهم ، وقطع أيديهم وأرجلهم وما حسمهم[127] " . (البغوي ، 1997م : 48/3) .

وفي رواية : " فبعث رسول الله ﷺ في طلبهم قافة[128] فأتي بهم ، قال : فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ الآية .

وفي رواية قال أنس : فلقد رأيت أحدهم يكدم الأرض بفيه عطشا حتى ماتوا . (أبو داود ، د.ت : رقم الحديث : 3798) .

وفي البخاري ، قال جرير بن عبد الله في حديث ، فبعثني رسول الله ﷺ في نفر من المسلمين حتى أدركنا هم وقد أشرفوا على بلادهم ، فجئنا بهم إلى رسول الله

---

[122] عكل بضم العين وسكون الكاف ، وهي قبيلة مشهورة من تيم الرباب .

[123] أي أصابهم الجوى وهو المرض وداء الجوف إذا تطاول .

[124] سمّر عين فلان ، سملها فقأها . (الفيروزآبادي ، 1987م : 1313) .

[125] الحرة بفتح الحاء وتشديد الراء ، أرض خارج المدينة ذات حجارة سود . (ياقوت الحموي ، 1979م : 245/20) . قال صاحب كتاب العين ، الحرة أرض ذات حجارة سود ثخرة كأنها أحرقت بالنار . (الفراهيدي ، 1988م : 23/3) .

[126] أبو قلابة اسمه عبد الله بن زيد الجرمي البصري . (ابن كثير ، 1995م : 50/2)

[127] ما حسمهم لم يكو ما قطع منهم بالنار لينقطع الدم بل تركه يترف .

[128] قافة جمع قائف ، وهو الذي يقتفى الأثر ، أو الذي يعرف الآثار . (الفيروزآبادي ، 1987م : 1095) .

Prince of Songkla University Pattani Campus

ﷺ ، قال جرير : فكانوا يقولون الماء ، ويقول رسول الله ﷺ : النار . (السيوطي ، 1990م : 491/2) .

وقد حكى أهل التواريخ والسير : أنهم قطعوا يدي الراعي ، ورجليه ، وغرزوا الشوك في عينيه حتى مات ، وأدخل المدينة ميتا ، وكان اسمه يسار ، وكان نوبيا ، وكان هذا الفعل من المرتدين سنة ست من الهجرة .(القرطبي ، 1965 :141/6) .

وروي عن ابن عباس و الضحاك : أنها نزلت بسبب قوم من أهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وأفسدوا في الأرض .

وفي مصنف أبي داود عن ابن عباس قال : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إلى قوله ﴿ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ نزلت هذه الآية في المشركين ، فمن أخذ منهم قبل أن يقدر عليه لم يمنعه ذلك أن يقام عليه الحد الذي أصابه . وممن قال : إن الآية نزلت في المشركين ، عكرمة و الحسن وهذا ضعيف . يرده قوله تعالى : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ . (سورة الأنفال ، الآية : 38) . وقوله عليه الصلاة والسلام : " أَنَّ الْإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الذُّنُوبِ " . (أحمد ، 1398هـ : حديث رقم 17159) . والصحيح الأول لنصوص الأحاديث الثابتة في ذلك . (ابن كثير ، 1995م : 50/2) .

4,4,2,2 وجه الدلالة من الآية :

بعد أن أبان الله سبحانه وتعالى فظاعة جرم القتل ، وشدّد تَبِعة القاتل فذكر أن من قتل نفساً بغير حق ، فكأنما قتل الناس جميعا ، ذكر هنا العقاب الذي يؤخذ به المفسدون في الأرض حتى لا يجترأ غيرهم على مثل فعلهم ، وقد ذهب أكثر الأئمة إلى أن الآيتين نزلتا في عُكل وعُرينة ، وقد ذكرناها في سبب النزول .

Prince of Songkla University Pattani Campus

وقد جعل الله هذا النوع من العدوان محاربة لله ورسوله ، لأنه اعتداء على الحق والعدل الذي أنزله الله على رسوله ، ولما فيه من عدم الإذعان لدينه وشرعه في حفظ الحقوق ، فمن لم يذعنوا لأحكام الشريعة يعدوا محاربين لله ورسوله ، ويجب على الإمام الذي يقيم العدل ويحفظ النظام أن يقاتلهم على ذلك كما فعل أبو بكر بمانعي الزكاة .

والجزاء الذي يعاقب أمثال هؤلاء المفسدين أحد أنواع أربعة : إما القتل أو الصلب أو تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف أو النفي من الأرض ، وفوض لأولى الأمر الاجتهاد في تقدير العقوبة بقدر الجريمة .

والحكمة في عدم التعيين والتفصيل ، أن المفاسد كثيرة تختلف باختلاف الزمان والمكان وضررها يختلف كذلك ، فمنها القتل ومنها السلب ومنها هتك الأعراض ومنها إهلاك الحرث والنسل ، أي قطع الشجر وقلع الزرع وقتل المواشي والدواب أو الجمع بين جريمتين أو أكثر من هذه المفاسد ، فللإمام أن يقتلهم إن قتلوا ، أو يصلبهم إن جمعوا بين أخذ المال والقتل ، أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، إن اقتصروا على أخذ المال ، أو ينفوا من الأرض إن أخافوا الناس وقطعوا عليهم الطرق . (الزحيلي ، 1991م : 169/6).

قال شيخ الإسلام : " وهذا قول كثير من أهل العلم كالشافعي وأحمد ، وهو قريب من قول أبي حنيفة ، ومنهم من قال : للإمام أن يجتهد فيهم ، فيقتل من رأى قتله مصلحة وإن كان لم يقتل ، مثل أن يكون رئيساً مطاعاً فيهم ، ويقطع من رأى قطعه مصلحة وإن كان لم يأخذ المال ، مثل أن يكون ذا جلد وقوة في أخذ المال ، كما أن منهم من يرى أنهم إذا أخذوا المال قتلوا وقطّعوا وصلبوا ، والأول قول الأكثر ، فمن كان من المحاربين قد قتل فإنه يقتله الإمام حدّاً لا يجوز العفو عنه بحال بإجماع العلماء ، ولا يكون أمره إلى ورثة المقتول . (مجموع الفتاوى ، د.ت : 310/28) .

والخلاصة إن هاتين الآيتين تضمنتا عقاب المحاربين المفسدين في الأرض ، الذين يعملون أعمالاً مخلّة بالأمن على الأنفس والأموال والأعراض في بلاد الإسلام ،

Prince of Songkla University Pattani Campus

معتصمين في ذلك بقوتهم مع عدم الإذعان لأحكام الشريعة باختيارهم ، وهو أن يطاردهم الحكام ويتتبعوهم حتى إذا قدروا عليهم عاقبوهم بتلك العقوبات بعد تقدير كل مفسدة بقدرها ومراعا المصلحة العامة ، ومن تاب قبل القدرة عليه لا يعاقب بما هنا من العقوبات ، بل حكمه حكم سائر المسلمين .

4,4,2,3 وجه الاستدلال من الآية :

جريمة الحرابة من الجرائم العظيمة المفاسد والمخاطرة ، فمن مظاهر عظمها وخطورتها ما يلي :

1) أن الله تعالى حكم على المحاربين بأنهم يحاربون الله ورسوله . قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ الآية .

2) أنها من الإفساد في الأرض ، كما تقدم في الآية السابقة .

3) أن الله تعالى توعد عليها بالخزي في الدنيا والعذاب العظيم في الآخرة. فقال تعالى : ﴿ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ الآية . قال السعدي :" فدلّ هذا أن قطع الطريق من أعظم الذنوب ، موجب لفضيحة الدنيا وعذاب الآخرة . (السعدي ، 1993م : 283/2) .

4) أنها تسبب انقطاع الناس عن السفر في سبيل معاشهم وبالتالي ضعف الاقتصاد .

5) أنها تنشر الفوضى والرعب وبذلك ينعدم الأمن .

6) تطبيق حد الحرابة في المجرمين ، فمن آثاره :

أ_ الحفاظ على أرواح الناس وأموالهم .

ب_ تأمين الطرق والسُّبل ، وبالتالي تنشط الحركة الاقتصادية .

ج_ الردع لكل من أراد الإفساد في الأرض .

Prince of Songkla University Pattani Campus

7) مَن تاب من المحاربين قبل التمكن منه يعفى عنه ، إلا أن يكون بيده مال سلبه فإنه يرده على ذويه أو يطلب بنفسه إقامة الحد عليه فيجاب لذلك . (الجزائري ، 2003م : 292/1) .

4,4,3 الآية الثالثة :

قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ . (سورة المائدة ، الآية : 64) .

4,4,3,1 سبب نزول الآية :

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن جرأة اليهود على ربهم ، ووصفهم إياه بما ليس من صفته توبيخا لهم بذلك ، وتعريفا منه نبيه صلى الله عليه وسلم قديم جهلهم ، واغترارهم به وإنكارهم جميع جميل أياديه عندهم ، وكثرة صفحه عنهم وعفوه عن عظيم إجرامهم ، واحتجاجا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأنه له نبي مبعوث ورسول مرسل ، أن كانت هذه الأنباء التي أنبأهم بها كانت من خفي علومهم ومكنونها التي لا يعلمها إلا أحبارهم وعلماؤهم دون غيرهم من اليهود ، فضلا عن الأمة الأمية من العرب الذين لم يقرءوا كتابا ولا وعوا من علوم أهل الكتاب علما ، فأطلع الله على ذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ليقرر عندهم صدقه ويقطع بذلك حجتهم . (الطبري ، 1995م : 639/4) .

Prince of Songkla University Pattani Campus

وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس ، أنها نزلت في فنحاص بن عزوراء رأس يهودي بني قينقاع . (المراغي ، 1963م : 152/4) .

قال عكرمة : إنما قال هذا فنحاص بن عزوراء وأصحابه ، ويد الله مقبوضة عنّا في العطاء ، فالآية خاصة في بعضهم . (القرطبي ، 1965م : 238/3) .

حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال : قال عكرمة :﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ الآية نزلت في فنحاص اليهودي .(الطبري ، 1995م : 4/ 639) .

وفي راوية قال رجل من اليهود يقال له النباش بن قيس : إن ربك بخيل لا ينفق فأنزل الله ﴿ قَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ . (الدر المنثور ، د.ت : 3/ 112) .

4,4,3,2 وجه الدلالة من الآية :

هذا قول إخوان القردة والخنازير الأندال يقولون يد الله مغلولة أي بخيلة غلت أيديهم، ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ، قاتلهم الله كيف تكون يد الجود الماجد مغلولة وكل نعمة قديمة أو حديثة ، ظاهرة أو باطنة ، جليلة أو قليلة ، منه وحده جل في علاه ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ . (سورة النحل ، الآية : 53) .كيف تكون يده مغلولة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وهو الذي صمدت إليه الكائنات وسألته المخلوقات مع اختلاف اللغات وتعدد اللهجات بشتى الحاجات فأعطى الجميع ومنح الكل وما نقصت خزائنه ولاانتهى فضله ، يقول عزوجل : " يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ " . (مسلم : 1407هـ : رقم الحديث 4674). (سيد قطب ، 1982م : 929/2) . كيف تكون يده مغلولة وهو الذي يطعم كل مخلوق ومن فضله يعيش كل حي ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي

Prince of Songkla University Pattani Campus

الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا ﴾. (سورة هود ، الآية : 6) . يطعم الطير في الهواء والسمك في الماء والوحش في البيداء والدود في الطين والليث في العرين ﴿ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ . (سورة الرحمن ، الآية: 29) . عمَّ فضله وشمل نواله وعظم كرمه وظهر جوده ، من جاد فمن جوده يجود عاش أعداؤه من فيض عطاه ، وتقلب عبيده في نعمائه ، كيف تكون يده مغلولة وقد طبق العالم إحسانه ، وعم الكون امتنانه ، ملأ الخزائن وأشبع البطون ، فبابه مفتوحه وجوده يغدو ويروح وخيره ممنوح ، وتأمل قوة الرد على فرية اليهود وجزالة اللفظ وإشراق المعنى وبراعة الحجة فإنهم قالوا لعنهم الله : ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ فخصوا يداً واحدة فرد عليهم بقوله : ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ فرد بالجمع ، ثم قال : ﴿ بلْ يَدَاهُ ﴾ فذكر اليدين الإثنتين المباركتين ، ثم وصفهما بأنهما مبسوطتان بالعطاء، ثم ذكر كيفية العطاء وحال هذا السخاء فقال: ﴿ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاء ﴾ . فتقدس اسمه ماأكرمه ، وتبارك في علاه ماأحلمه ، وعز جاهه ماأعلمه ، وانظر إلى منهج القرآن كيف أورد الشبهة باقتضاب ، ثم رد عليها بإسهاب وأطنب في تفنيدها ودحضها حتى شفى القلب بهذا البيان الناصع ، والبرهان الساطع بخلاف ضعاف المجادلين ، فإنهم يتوسعون في عرض الشبهة ثم يردون عليها رداً ضعيفاً فتبقى آثارها في القلب شبهاً وشكوكاً ، فتبارك الله ماأحسن قيله. (عايض القرني[129] ، 2001م) .

وتبرز هذه الآية واحداً من المصاديق الواضحة للأقوال الباطلة التي كان اليهود يتفوهون بها، وقد تطرقت الآية السابقة إليها ـــ أيضاً ـــ ولكن على نحو كلي. ويتحدث لنا التاريخ عن فترة من الوقت كان اليهود فيها قد وصلوا إلى ذروة السلطة والقدرة ، وكانوا يمارسون الحكم على قسم مهم من المعمورة ، ويمكن الإستشهاد بحكم سليمان وداود كمثال على حكم الدولة اليهودية ، وقد استمر حكم اليهود بعدهما بين رقي وانحطاط حتى ظهر الإسلام ، فكان ايذاناً بانهزام الدولة اليهودية ، وبالأخص في

---

[129] مقال للشيخ عايض القرني من موقع : WWW. Islam way .com

الحجاز، إذ أدى قتال النّبي ﷺ ليهود بني النضير وبني قريظة ويهود خيبر إلى إضعاف سلطتهم بصورة نهائية.

وفي ذلك الوضع كان البعض من اليهود حين يتذكرون سلطتهم القوية السابقة ، كانوا يقولون استهزاءً وسخرية ـــ إنّ يد الله أصبحت مقيدة بالسلاسل (والعياذ بالله) وأنّه لم يعد يعطف على اليهود، ويقال: أنّ المتفوه بهذا الكلام كان الفخاس بن عازوراء رئيس قبيلة بني القينقاع ، أو النباش بن قيس كما ذكر بعض المفسّرين. .

وبما أنّ سائر أبناء الطائفة اليهودية أظهروا الرضى عن أقوال كبار قومهم هؤلاء، لذلك جاء القرآن لينسب هذه الأقوال إلى جميعهم، كما تقول الآية: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ... ﴾ .

ويجب الإنتباه إلى أنّ كلمة (اليد) تطلق في اللغة العربية على معان كثيرة ومنها (اليد العضوية) كما أن معانيها (النعمة) و(القدرة) و(السلطة) و(الحكم)، وبديهي أنّ المعنى الشائع لها هو اليد العضوية ، ولما كان الإنسان ينجز أغلب أعماله المهمّة بيده، فقد أطلقت من باب الكناية على معان أُخرى. .

وتفيدنا الكثير من الرّوايات الواردة عن أنّ هذه الآية تشير إلى ما كان اليهود يعتقدون به حول القضاء والقدر والمصير والإرادة، حيث كانوا يذهبون إلى أنّ الله قد عين كل شيء منذ بدء الخليقة، وأنّ كل ما يجب أن يحصل قد حصل، وأنّ الله لا يستطيع من الناحية العملية ايجاد تغيير في ذلك . .

وبديهي أنّ تتمة الآية التي تتضمن عبارة ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ ـــ كما سيأتي شرحه ـــ تؤيد المعنى الأوّل ، كما يمكن أن يقترن المعنى الثّاني بالمعنى الأوّل في مسير واحد، لأنّ اليهود حين أفل نجم سلطانهم، كانوا يعتقدون أن هذا الأفول هو مصيرهم المقدر، وأنّ يد الله مقيدة لا تستطيع فعل شيء أمام هذا المصير.

والله ﷻ يرد على هؤلاء توبيخاً وذماً لهم ولمعتقدهم هذا بقوله: ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ ثمّ لكي يبطل هذه العقيدة الفاسدة يقول ﷻ ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاء ﴾ فلا إجبار في عمل الله كما أنّه ليس محكوماً بالجبر

الطبيعي ولا الجبر التّأريخي، بل أنّ إرادته فوق كل شيء وتعمل في كل شيء.

والملفت للنظر هنا أنّ اليهود ذكروا اليد بصيغة المفرد كما جاء في الآية موضوع البحث، لكن الله ﷻ من خلال رده عليهم قد ثنّى كلمة اليد فقال: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ وهذا بالإضافة إلى كونه تأكيداً للموضوع، هو كناية لطيفة تظهر عظمة جود الله وعفوه، وذلك لأنّ الكرماء جدّاً يهبون ما يشاؤن للغير بيدين مبسوطتين، أضف إلى ذلك أنّ ذكر اليدين كناية عن القدرة الكاملة، أو ربّما يكون إشارة إلى النعم المادية والمعنوية، أو الدنيوية والأُخروية.

ثمّ تشير الآية إلى أنّ آيات الله التي تفضح أقوال ومعتقدات هؤلاء تجعلهم يوغلون أكثر في صلفهم[130] وعنادهم ويتمادون في طغيانهم وكفرهم بدلا من تأثيرها الايجابي في ردعهم عن السير في نهجهم الخاطيء حيث تقول الآية الكريمة: ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾.

بعد ذلك تؤكّد الآية على أن صلف هؤلاء وطغيانهم وكفرهم سيجر عليهم الوبال، فينالهم من الله عذاب شديد في هذه الدنيا، من خلال تفشي العداء والحقد فيما بينهم حتى يوم القيامة، فتقول الآية الكريمة: ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾.

وقد اختلف المفسّرون في معنى عبارة ﴿ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ﴾ الواردة في هذه الآية، لكنّنا لو تغاضينا عن الوضع الإستثنائي غير الدائم الذي يتمتع به اليهود في الوقت الحاضر، ونظرنا إلى تاريخ حياتهم المقترن بالتشتت والتشرد، لثبت لدينا أنّ هناك عامل واحد لهذا الوضع التّأريخي الخاص لهؤلاء، وهو انعدام الإتحاد والإخلاص فيما بينهم على الصعيد العالمي، فلو كان هؤلاء يتمتعون بالوحدة والصدق فيما بينهم، لما عانوا طيلة تاريخ حياتهم من ذلك التشرد والضياع والتشتت والتعاسة . (محمد حميد،1415هـ: ص8).

وتشير الآية ـــ في الختام ـــ إلى المساعي والجهود التي كان يبذلها اليهود

---

[130] صَلَفِهم ، أي إنكارهم .

Prince of Songkla University Pattani Campus

لتأجيج نيران الحروب، وعناية الله ولطفه بالمسلمين في انقاذهم من تلك النيران المدمرة الماحقة، فتقول ﴿ أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾.

وتعتبر هذه الظاهرة إحدى معاجز حياة النّبي الأكرم محمّد ﷺ ، لأنّ اليهود كانوا الأقوى بين أهل الحجاز والأعرف بمسائل الحرب، بالإضافة إلى ما كانوا يمتلكون من قلاع حصينة وخنادق منيعة، ناهيك عن قدرتهم المالية الكبيرة التي كانت لهم عوناً في كل صراع بحيث أن قريشاً كانوا يستمدون العون منهم، وكان الأوس، والخزرج يسعى كل منهما إلى التحالف معهم وكسب صداقتهم ونيل العون منهم في المجال العسكري، لكنّهم فقدوا فجأة قدرتهم المتفوقة هذه وطويت صفحة جبروتهم دفعة واحدة، بشكل لم يكن متوقعاً لديهم، فاضطر يهود بني النضير وبني قريظة وبني القينقاع إلى ترك ديارهم، كما استسلم نزلاء قلاع خيبر الحصينة وسكان فدك من اليهود خاضعين للمسلمين، وحتى أُولئك الذين كانوا يقطنون في فيافي الحجاز منهم اضطروا إلى الخضوع أمام عظمة الإسلام، فهم بالإضافة إلى عجزهم عن نصرة المشركين اضطروا إلى ترك ميدان النزال والصراع .

ثمّ تبيّن الآية ــ أيضاً ــ أنّ هؤلاء لا يكفون عن نثر بذور الفتنة والفساد في الأرض فتقول: ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ وتؤكّد أيضاً قائلة: ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾.

ويستدلّ من هذا على أن أسلوب المواجهة القرآني لليهود لم يكن يتركز على أساس عنصري مطلقاً، بل أن المعيار الذي استخدمه القرآن في توجيه النقد إليهم، هو معيار الأعمال التي يمكن أن تصدر من أي جنس وعنصر أو طائفة، وسنلاحظ في الآيات القادمة أنّ القرآن على الرغم من كل ما صدر من هؤلاء، قد ترك باب التوبة مفتوحاً أمامهم.

4,4,3,3 وجه الاستدلال من الآية :

1) قبح وصف الله تعالى بما لا يليق بجلاله وكماله .

Prince of Songkla University Pattani Campus

2) ثبوت صفة اليدين لله تعالى ووجوب الإيمان بها على مراد الله تعالى ، وعلى ما يليق بجلاله وكماله .

3) تقرير ما هو موجود بين اليهود والنصارى من عداوة وبغضاء ، وهو من تدبير الله تعالى .

4) سعي اليهود الدائم في الفساد في الأرض ، فقد ضربوا البشرية بالمذهب المادي الإلحادي الشيوعي ، وضربوها أيضاً بالإباحية ومكائد الماسونية .

5) وعد الله لأهل الكتاب على ما كانوا عليه لو آمنوا واتقوا لأدخلهم الجنة .

6) وعده تعالى لأهل الكتاب ببسط الرزق وسعته لو أقاموا التوراة والإنجيل من دعوتهم الإيمان بالنبي الأمي والدخول في الإسلام ، لحصل لهم ذلك كما حصل للمسلمين طيلة ثلاثة قرون وزيادة ، وما زال العرض كما هو لكل الأمم والشعوب أيضاً . (الجزائري ، 2003م : 304/1) .

7) أن حال هؤلاء اليهود أنهم يجتهدون في الكيد للإسلام وأهله ، ويسعون سعياً حثيثاً للإفساد في الأرض ، عن طريق إثارة الفتن وإيقاظ الأحقاد بين الناس .

8) الآية الكريمة قد ردّت على اليهود في نسبتهم البخل إلى الله تعالى ، وبينت أنه سبحانه هو الواسع الفضل ، وكشفت عن جوانب من رذائلهم وعنادهم . (سيد طنطاوي ، 1986م : 288/4) .

4,4,4 الآية الرابعة :

قوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ ﴾. (سورة البقرة ، الآية 279) .

Prince of Songkla University Pattani Campus

4,4,4,1 سبب نزول الآية :

قد ذكر زيد بن أسلم وابن جريج ومقاتل بن حيان والسدي ، أن هذا السياق نزل في بني عمرو بن عمير من ثقيف ، وبني المغيرة من بني مخزوم ، كان بينهم ربا في الجاهلية فلما جاء الإسلام ودخلوا فيه طلبت ثقيف أن تأخذه منهم ، فتشاورا وقالت بني المغيرة : لا نؤدي الربا في الإسلام بكسب الإسلام . فكتب في ذلك عتاب بن أسيد نائب مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية فكتب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (سورة البقرة ، الآية : 278 ﴾ فقالوا نتوب إلى الله ونذر ما بقي من الربا فتركوه كلهم . وهذا تهديد ووعيد أكيد لمن استمر على تعاطي الربا بعد الإنذار . (ابن كثير ، 1996م : 441/1) .

وفي رواية بطريقة أخرى نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا إن كنتم مؤمنين كاملى الإيمان ، فان دليل كماله امتثال المأمور به ، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، فاعلموا بها من أذن بالشيء إذا علم ، يؤيده قراءة الحسن فايقنوا فآذنوا حمزة و أبو بكر غير ابن غالب ، فاعلموا بها غيركم و لم يقل بحرب الله ورسوله ، لأن هذا أبلغ لأن المعنى فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله . وروى أنها لما نزلت قالت ثقيف لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله ، و إن تبتم من الارتباء فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان منها ، و إن كان ذو عسرة و إن وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة ذو إعسار فنظرة ، فالحكم أو فالأمر نظرة آي إنظار إلى ميسرة . (النسفي ، 1995م : 135/1) .

Prince of Songkla University Pattani Campus

4,4,4,2 وجه الدلالة من الآية :

أن الربا كبيرة من كبائر الذنوب التي جاء تحريمها مغلظاً في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، بجميع أشكاله وأنواعه ومسمياته ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ . (سورة آل عمران ، الآية : 130) . وقال تعالى : ﴿ يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ سورة البقرة ، الآية : 276) .فما أعظم جريمة من حارب الله ورسوله . نسأل الله العافية .

قَالَ النبي ﷺ اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ قَالَ الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ " . (البخاري ، 1378هـ : رقم الحديث : 6351) . فهذه الأدلة من الكتاب وسنة رسوله ﷺ التي تبين تحريم الربا وخطره على الفرد والأمة ، وأن من تعامل به وتعطاه فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب ، وقد أصبح محارباً لله ورسوله .

ثم وجّه الخطاب للمؤمنين ، وأمرهم أن يتقوه ويذروا ما بقي من معاملات الربا ، التي كانوا يتعاطونها قبل ذلك ، وأنهم إن لم يفعلوا ذلك ، فإنهم محاربون لله ورسوله ، وهذا من أعظم ما يدل على شناعة الربا ، حيث جعل المصرُّ عليه محارباً لله ورسوله . (السعدي ، 1992م : 340/1) .

فعلى كل مسلم يريد الله والدار الآخرة أن يتقي الله ﷻ في نفسه وماله ، وأن يكتفي بما أباح الله ورسوله ، وأن يكفَّ عمَّا حرّم الله ورسوله ، ففيما أباح الله كفاية وغنى عمّا حرّم ، وعلى المسلم الناصح لنفسه الذي يريد لها الخير والنجاة من عذاب الله والفوز برضاه ورحمته أن يبتعد عن ايداع أمواله في البنوك الربوية بفائدة ، لأن الايداع فيها بفوائد والاقتراض منها بفوائد كل ذلك من المعاملات الربوية من التعاون

Prince of Songkla University Pattani Campus

على الإثم والعدوان الذي نهى الله عنه بقوله سبحانه : ﴿ تَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾.(سورة المائدة، الآية:2).

اتق الله يا عبد الله وانج بنفسك ، ولا تغتر بكثرة البنوك الربوية ، ولا بكثرة انتشار معاملاتها في كل مكان ، ولا بكثرة المتعاملين معها ، فإن ذلك ليس دليلاً على إباحتها ، وإنما هو دليل على كثرة الاعراض عن أمر الله ، ومخالفة شرعه ، ومع الأسف الشديد أن كثيراً من الناس لما أنعم الله عليهم ووسع عليهم من فضله وأغناهم بكثرة المال ، أصبحوا لا يهتمون بالعمل بأحكام الإسلام ، والإستغناء عن ما أباح الله لهم والوقوع فيما حرم عليهم ، وإنما يهتمون بما يدر عليهم المال من أي طريق كان حلالاً أم كان حراماً ، وما ذلك إلا لضعف إيمانهم وقلة خوفهم من ربهم عز وجل ، وغلبه حبّ الدنيا على قلوبهم .

4,4,4,3 وجه الاستدلال من الآية :

1) وجوب التوبة من الربا ومن كل المعاصي .
2) المصر على المعاملات الربوية يجب على الحاكم أن يحاربه بالضرب على يديه حتى يترك الربا .
3) من تاب من الربا لا يظلم بالأخذ من رأس ماله بل يعطاه وافياً كاملاً إلا أن يتصدق بالتنازل عن ديونه الربوية فذلك خير له حالاً ومالاً .
4) وجوب ذكر الدار الآخرة والاستعداد لها بالإيمان والعمل الصالح وترك الربا والمعاصي . (الجزائري ، 2003م : 130/1) .
5) يأمر الله تعالى عباده في الآية الكريمة بتقواه ناهياً لهم عمّا يقربهم إلى سخطه ويبعدهم عن رضاه ، وأوعد كل آكل للربا بالقتل . (ابن كثير ، 1996م : 412/1) .

Prince of Songkla University Pattani Campus

4,5 تعريف السلام لغة واصطلاحاً :

4,5,1 السلام لغة :

هو نقيض الحرب ، السين والميم واللام معظم بابه من الصحة والعافية ، فالسلامة إن سلم الإنسان من العامة والأذى . (ابن فارس ، 1991م : 90/3) .

السَّلامُ والسَّلامَةُ البراءة تَسَلَّمَ منه تَبَرَّأَ وقال ابن الأَعرابي السَّلامة العافية ، السَّلْمُ السِّلْمُ الصلح يفتح ويكسر ويذكر ويؤنث ، السَّلْمُ السَّلامُ كالسِّلْمِ وقد سالَمَهُ مُسالَمَةً ، السِّلْمُ المُسالِمُ تقول أَنا سِلْمٌ لِمَنْ سالَمَني وقوم سِلْمٌ سَلْمٌ مُسالِمونَ وكذلك امرأَة سِلْمٌ سَلْمٌ تَسالَمُوا تصالحوا ، وحكي السِّلْمُ السَّلْمُ الاسْتِسْلامُ وضد الحرب أَيضاً ابن منظور ،1992م :289/12) .

قال الجوهري : والسلم الصلح يفتح ويكسر ويذكر ويؤنث وأصله من الاستسلام والإنقياد ولذلك قيل للصلح : سلم (القرطبي ،1996م: 26/3) .

4,5,2 السلام اصطلاحاً :

السلام هو التعايش والتفاهم بين الناس أفراد وجماعات وحضارات ، دون نزاع أو عدوان بالخضوع للقوانين الدولية والشرائع السماوية .

السلام يوفر الطمأنينة ، والأمن ، والسكينة ، وربّ هذا الدين من أسمائه (السلام) لأنه يؤمِّن الناس بما شرع من مبادئ ، وبما رسم من خطط ومناهج ، وحامل هذه الرسالة هو حامل راية السلام ، لأنه يحمل إلى البشرية الهدى ، والنور ، والخير

Prince of Songkla University Pattani Campus

والرشاد . (سيد سابق ، 1998م : 3/3) . قال العباس بن مرداس السلمي : " السلم تأخذ منها ما رضيت به ، والحرب تكفيك من أنفاسها جُرَعُ[131] .

4,6 مفهوم السلام :

أن عدداً كبيراً من الفقهاء المسلمين يعتقدون ويؤكدون ، أن النظرة الإسلامية إلى شؤون العلاقات الدولية تفترض حالة السلم أصلاً لتلك العلاقات ، وذلك ما لم يطرأ طارئ من اعتداءات من الجهات غير الإسلامية إلى دار الإسلام ، وعند ذلك يهب المسلمون دفاعاً عن عقيدتهم وعن أرضهم وأنفسهم وأموالهم ، يستند هؤلاء الفقهاء إلى جملة من النصوص القرآنية التي تؤكد هذا الأصل السلمي لعلاقات المسلمين بغيرهم ، منها قول الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ . (سورة البقرة ، الآية : 208) . وقوله تعالى : ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ﴾ . (سورة التوبة ، الآية : 7) . وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ . (سورة البقرة ، الآية : 190) . وغيرها من الآيات التي تدعو المسلمين إلى ألا يبتدروا أحداً بقتال وألا يقاتلوا إلا دفاعاً لاعتداء يقع من الأعداء على أرض الإسلام ، أو تعدياً منهم يهدف إلى كبت صوت الإسلام ومنع حرية حركة الدعوة والبلاغ الإسلامي إن يصل إلى مختلف الأصقاع .

والسلام بهذه اللفظية الخاصة صار الآن مصطلحاً حديثاً ، وهذا المصطلح يطلق على أمرين :

الأول : ما يعرف بالسلام الداخلي أو المحلي ، وهو يقابل الأمان في الاصطلاح الشرعي لدى الفقهاء ، ويراد به تأمين الأفراد والطوائف من غير المسلمين داخل الدولة الإسلامية .

---

[131] جرع ، حسوة منه ، وقيل الجَرْعة المرة الواحدة ، والجُرْعةُ مِلءُ الفم يَبْتَلِعُه وجمع الجُرْعة جُرَعٌ . (ابن منظور ، 1992م: 46/8) .

Prince of Songkla University Pattani Campus

الثاني : ما يعرف بالسلام الدولي ، وهو الذي يكون بين الـــدول وبـــين الأمم ، وهذا أشبه ما يكون في المصطلح الشرعي لدى الفقهاء بالموادعة ، وقد عرفهـــا الكاساني بقوله : "هي المعاهدة والصلح على ترك القتال " . وعبّر عنها أيضا بالمـــسالمة ، وبالمصالحة ، وبالمعاهدة .

لقد كان شيخ الإسلام ابن تيمة أكثر من أبان عن هذا الموقف في رسالته القيمة عنوانها (رسالة القتال) وهي الرسالة التي درّس وبين فيها نصوص الشرع علـــى ضوء تطبيقاتها في سيرة المصطفى ﷺ وانتهى فيها إلى تأكيد أنه قد كانت ســـيرته ﷺ أنّ كل من هادنه من الكفار لم يقاتله ، وهذه كتب السير والحـــديث والتفـــسير والفقـــه والمغازي تنطق بهذا ، وهذا متواتر من سنته ، فهو لم يبدأ أحداً من الكفار بقتال ، ولـــو كان الله أمره أن يقتل كل كافر لكان يبتدئهم بالقتل والقتال .

وسيراً على النهج السديد في دراسة النصوص وفق تطبيقاتها في السيرة النبوية الصحيحة ، فإن الإمام شمس الدين بن قيم الجوزية قرّر تلك الأحوال في نص تأصيلي مطول قائلاً : " ومن تأمل سيرة النبي ﷺ تبين له أنه لم يكره أحداً على دينه قط ، وأنه إنما قاتل من قاتله ، وإما من هادنه فلم يقاتله ما دام مقيماً على هدنته لم ينقض عهده ، بل أمره الله تعالى أن يفي لهم بعهدهم ما استقاموا له ،كما قال تعالى : ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ﴾ .

وأنه ﷺ لما قدم المدينة صالح اليهود وأقرّهم على دينهم ، فلما حاربوه ونقضوا عهده وبدؤوه بالقتال قاتلهم ، وكذلك لما هادن قريشاً عشر سنين لم يبدأهم بقتال حتى بدءوا هم بقتاله ونقضوا عهده ، فعند ذلك غزاهم في ديارهم ، وكانوا هم يغزونه قبل ذلك كما قصدوه يوم أحد ، ويوم الخندق ، ويوم بدر أيضاً . (المباركفوري ، 1991م : ص213) .

والمقصود أنه ﷺ لم يكره أحداً على الدخول في دينه البتة ، وإنما دخل الناس في دينه اختياراً وطوعاً ، فأكثر أهل الأرض دخلوا في دعوته لما تبين لهم الهدى وأنه رسول الله حقاً .

Prince of Songkla University Pattani Campus

وبعد ذلك يبقى الأصل في تعامل دولة الإسلام مع الدول الأخرى ، هو التزام المسلمين حالة السلم حتى يتعرضوا للاعتداء ، وهو ما قرّره ابن القيم بوضوح تام في هذا النص ، فلا يوجد مبرر لحرب غير المسلمين لمجرد أنهم غير مسلمين ، إذ لا يجوز إرغامهم على اعتناق الإسلام ، ولا يجوز قتلهم لمجرد أنهم غير مسلمين .

4,7 مشروعية السلام :

لقد أساء كثير من الناس فهم رسالة الإسلام ذات النزعة العالمية وأشاعوا كلمات ، وقرروا أفكاراً عالمة ، وأعلنوا شعارات مغرضة ، منها أن الإسلام انتشر بحد السيف ، ولا يعترف بحرية الاعتقاد والفكر والانتماء الإقليمي ، وأن الجهاد في الإسلام لقهر الشعوب والأمم الأخرى ، وأنه عدوان مستمر ودائم ، وأن علاقات المسلمين بغيرهم علاقة متوترة وعدائية وفوقية وتسلط .

وهذه كله إما جهل بحقيقة دعوة الإسلام السلمية ، أو تشويه مغرض نابع من نار التعصب والحقد والكراهية على المسلمين ، أو تأويل سطحي لبعض النصوص التشريعية وعبارات بعض الفقهاء الرامية .

والواقع أن الإسلام في جوهره ووسائله وغاياته أشد الأديان حرصاً على إقرار الأمن والسلم في العالم ، سواء في أوطانه أو في أوطان الآخرين ، مروراً بسياسة دوله وحكامه وعلى مر العصور ، وانتهاء بتحقيق الغاية الأساسية له ، وهي تحقيق الاستقرار والاطمئنان في العالم ، وتحقيق دعائم السلم في كل وقت ، واحترام أصول الحرية والعدالة في كل زمان ومكان ، ومع كل شعوب العالم .

ومنشأ التشويه والخطأ في فهم رسالة الإسلام السلمية ، أن المسلمين في كل العصور ، وفي الماضي والحاضر والمستقبل كانوا ومازالوا هم المعتدى عليهم والمهددة مصالحهم ، والمتآمر على وجودهم وكيانهم ، ومحاولة القضاء على وطنهم ودعوتهم .

Prince of Songkla University Pattani Campus

إن دعوة الإسلام الدولية إلى الأمن والسلم ، والأمن الداخلي بين أبنـــاء المجتمع ، هي من جوهر رسالة الإسلام وغايته الأساسية ، لأن الإسلام دين العقل والفكر ، وأبسط المبادئ العقلية أن ما فرض بالقوة أو أكره عليه ولا سيما العقيدة ، سرعان ما يزول بزوال ظرف الإكراه أو القوة ، وقد صرّح القرآن بمنع الإكراه في الدين ، فقـــال تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ . (سورة البقرة ، أية : 256) . وهذا دليل قاطع على أن المسلمين لم يكرهوا ولن يكرهوا أحداً على الدخول في الإسلام ، وقد دلت وقـــائع التاريخ على هذا ، فلم يثبت في أي حقبة زمنية في الماضي السحيق أن المسلمين أكرهوا أحداً على الإسلام ، وتثبت هذه الحقيقة أن الإسلام لم ينتشر بالسيوف . (سيد سابق ، 1998م : 4/3) .

أن الأصل أو القاعدة أو المبدأ العام في العلاقات الخارجية أو الدولية بين المسلمين وغيرهم هو السلام ، والحرب استثناء أو ضرورة طارئة ، وهذا مقـــرر لـــدى مختلف الفقهاء من المذاهب . (خير هيكل ، 1996م : ص821) .

يقول الشيخ محمد رشيد رضا في كتابه (الوحي المحمدي) : " الحرب ضرورة ، وأن السلم هي الأصل التي يجب أن يكون الناس عليهـــا " . (رشـــيد رضـــا ، د.ت : ص240) .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه (العلاقات الدولية في الإسلام) في مواضع متفرقة : " الأصل في العلاقات هو السلم ... وأن الإسلام إذ يقرر السلم علـــى أنه أصل من أصول العلاقات الإنسانية بين الدول ، لا يسمح للمؤمنين أن يتـــدخلوا في شؤون الدول إلا لحماية الحريات العامة ، وعندما يستغيث المظلومين ، أو يعتدى علـــى المعتقدين له " . (أبو زهرة ، 1995م : ص 47_52) .

وليس أدل على هذا الاتجاه الفقهي لدى أغلبية فقهاء المسلمين في تقريـــر هذه الحقيقة ، من احترام مبدأ التعايش الديني بين المسلمين وغيرهم في مظلة دولة واحدة ، وتحريم الاعتداء على المدنيين من نساء وأطفال ورهبان وفلاحين ، ومنع كل ما يـــدمر مظاهر الحضارة والمدنية من تهديم المنازل ، وقطع الأشجار ، ومصادرة أراضي المـــسلمين

Prince of Songkla University Pattani Campus

ظلماً وبهتاناً ، وتشريد السكان كالحاصل في فلسطين المحتلة ، وكثيراً من بلدان العالم . (عبد الكريم زيدان ، 1990م : ص 57) .

ويتضح من هذا كله ، أن الإسلام حريص على توطيد دعائم السلم والأمن ، ويكون السلام في الإسلام أصلاً عاماً ، أو قاعدة عامة مشروعة ، وليس الجهاد إلا لرد العدوان ، ومقابلة التحديات والاعتداء على حرمات الديار والدين والقيم العليا . (وهبة الزحيلي ، 1991م : ص 120) .

4,8 تحليل بعض الآيات التي ذكرت عن السلام :

4,8,1 الآية الأولى :

قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾. (سورة البقرة ، الآية : 208) .

4,8,1,1 سبب نزول الآية :

أخرج غير واحد عن إبن عباس رضي الله تعالى عنهما ، أنها نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه ، وذلك أنهم حين آمنوا بالنبي ﷺ وآمنوا بشرائعه ، وشرائع موسى عليه السلام ، فعظموا السبت وكرهوا لحمان الإبل وألبانها بعد ما أسلموا ، فأنكر ذلك عليهم المسلمون ، فقالوا : إنا نقوي على هذا وهذا ، وقالوا للنبي ﷺ : إن التوراة كتاب الله تعالى فدعنا فلنعمل بها ، فأنزل الله تعالى هذه الآية . (الآلوسي ، د.ت :97/2) .

وقال ابن عباس : نزلت الآية في أهل الكتاب والمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى ادخلوا في الإسلام بمحمد ﷺ كافة . (القرطبي ، 1996م : 26/3) .

Prince of Songkla University Pattani Campus

4,8,1,2 وجه الدلالة من الآية :

الإصلاح ودعوة الناس للخير وتحبيبهم في الدين وحث على التحلي بآدابه ، هدف سام تسعى إليه كل الدعوات الإصلاحية على اختلاف مبادئها وأساليبها ، غير أن كثيراً منها قد تنحرف عن الجادة وعن الطريق الذي رسمه القرآن ووضحه الرسول ﷺ وهذا مكمن الخطر الذي يواجه مشروع الإصلاح ويغفل عنه للأسف القادة والمربون .

خذ مثالا على ذلك الأصل العظيم الذي خطه لنا القرآن ووضحته لنا سنة النبي ﷺ القولية والعملية الذي قال فيه ربنا جلّ وعلا في الآية المذكورة ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾. قال ابن عباس رضي الله عنه : (السلم) الإسلام ، والمقصود من الإسلام كله أي الإيمان به كله دون استثناء ، والعمل بشرعه كله دون غيره . و (كافة) جميعاً . وقال مجاهد : اعملوا بجميع الأعمال ووجوه البر ، فالأخذ بأمور الدين المنقولة لنا بالسند الصحيح وتطبيقها عمليا والتناصح فيها ، وإحيائها بين الناس بشمولية كاملة دون تفرقة بين جزء وجزء ، أصل عظيم حث عليه شرعنا الحنيف ، وقد دلت الآية على أن التفريط في ذلك وإهماله يعتبر من اتباع خطوات الشيطان التي أمرنا الله تعالى بالحذر منها .

وتطبيقاً لهذا الأصل العظيم ، فقد حرص السلف على إحياء السنن ودعوة الناس إليها وعدم التفريط فيها ، سواء كانت في العبادات أو العادات أو الأخلاق أو سائر الحياة اليومية ، ومن جهة أخرى حذروا من البدع والزيادات في الدين على اختلاف أنواعها وأشكالها ، وشعارهم في ذلك ﴿ وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ . (سورة الحشر ، الآية : 7) . هكذا بشمولية كاملة دون تفرقة بين أمر وأمر من أبواب السلام .

Prince of Songkla University Pattani Campus

4,8,1,3 وجه الاستدلال من الآية :

ووجه الاستدلال من الآية الكريمة تتلخص فيما يلي :

1) لقد كان بعض الذين أسلموا حديثاً من اليهود يظنون أنهم لو أبقوا على الإيمان شيء من التوراة لا يضر ذلك إيمانهم شيئاً ، فأنزل الله مبيناً لهم أن الدخول في الإيمان يقتضي الإيمان بكل ما أنزل ، أي بالإسلام كله ، فالإسلام ناسخ لغيره من الشرائع ، وأن إبقاء أي شيء من غير الإسلام ولو كان يسيراً يكون اتباعاً لطرق الشيطان ، الذي هو عدو واضح العداوة للمؤمنين .

2) أنه لا يصح أن يفسر (السلم) في الآية بمعنى مسالمة ا لعدو ، وذلك لأن (السلم) ترد بمعنى (الإسلام) و (المسالمة) أي أن للسلم أكثر من معنى ، وبالتالي هو لفظ مشترك أي متشابه ، وتقرير أي المعنيين هو المراد ، يفهم من القرائن المتعلقة بذلك في الآيات المحكمة .

3) بيّن الله سبحانه أنهم لم يدخلوا في الإسلام كله ، وأبقوا على أي شيء من الشرائع السابقة لم يقره الإسلام ، فإنهم يكونون بذلك قد أوقعوا أنفسهم في غضب الله وعقابه .

4) وجوب قبول شرائع الإسلام كافة وحرمة التخير فيها .

5) ما من مستحل حراماً ، أو تارك واجباً إلا وهو متبع للشيطان في ذلك .

6) وضوح عداوة الشيطان لعباد الله المؤمنين . (الجزائري ، 2003م : 91/1) .

Prince of Songkla University Pattani Campus

4,8,2 الآية الثانية :

قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ (سورة محمد ، الآية : 35) .

4,8,2,1 وجه الدلالة من الآية :

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى : ثم قال الله تعالى لعباده المؤمنين ﴿ فَلَا تَهِنُوا ﴾ أي : لا تضعفوا عن الأعداء ، ﴿ وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ ﴾ أي لا تبدءوا بطلب السلم ،وهو المهادنة والمسالمة ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال وقوتكم ، وكثرة عددكم . (ابن كثير ، 1996م : 209/7) .

إذاً فابن كثير رحمه الله تعالى يذهب إلى أن موضع هذه الآية هو حال القوة ، ومفهوم هذا أنه يجوز ذلك إذا كنتم في حال تسوغ لكم ذلك ، والواو في قوله : ﴿ وَأَنْتُمُ ﴾ حالية ، أي في حال علوكم على عدوكم ، والأقهرون والأغلبون لأعدائكم.

ويتابع الإمام ابن كثير في تفسيره للآية حيث قال : فأما إذا كان الكفار فيهم قوة وكثرة بالنسبة إلى جميع المسلمين ، ورأى الإمام في المعاهدة والمهادنة مصلحة فله أن يفعل ذلك ، كما فعل الرسول ﷺ حين صده كفار قريش عن مكة ، ودعوه إلى الصلح ، ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين ، فأجابهم إلى ذلك .

والإمام السيد طنطاوي يقول في تفسيره للآية :" ولا تدعوهم إلى الصلح والمسالة على سبيل الخوف منهم ، وإظهار العجز أمامهم ، فإن ذلك نوع من إعطاء الدنيَّة التي تأباها تعاليم دينكم . (السيد طنطاوي ، 1986م : 100/13) .

فالإمام الشنقيطي رحمه الله تعالى في تفسيره للآية الكريمة : ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ ﴾ فسَّر بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ (سورة النساء ، ألآية : 104) .

Prince of Songkla University Pattani Campus

4,8,2,2 وجه الاستدلال من الآية :

ووجه الاستدلال من الآية الكريمة تتلخص فيما يلي :

1) الخطاب للمؤمنين على سبيل التبشير والتثبيت والحض على مجاهـــدة المشركين . (السيد طنطاوي ، 1986م : 100/13) .

2) حرمة الركون إلى مصالحة الأعداء مع القدرة على قتالهم والتمكن من دفع شرهم . (الجزائري ، 2003م : 1245/1) .

3) النهي عن الدعوة إلى صلح الكفار ومسالمتهم ، إذا كان هذا الصلح أو تلك المسالمة تؤدي إلى إذلال المسلمين ، أو إظهارهم بمظهر الضعيف القابل لـــشروط الأعداء .

4) جواز قبول الدعوة إلى المسالمة إذا كانت لا تضر بمصلحة المسلمين ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ الـــسَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (سورة الأنفال ، الآية :61) . (السيد طنطاوي ، 1986م : 101/13).

4,8,3 الآية الثالثة :

قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (سورة النساء ، الآية :94)

Prince of Songkla University Pattani Campus

4,8,3,1 سبب نزول الآية :

روى البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّه عَنْهمَا ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : كَانَ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ فَلَحِقَهُ الْمُسْلِمُونَ ، فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا غُنَيْمَتَهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلِه : ﴿ تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ تِلْكَ الْغُنَيْمَةُ ، قَالَ قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ السَّلَامَ * (البخاري ، 1378هـ رقم الحديث : 4225) .

روى الإمام أحمد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : مَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ بِنَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّه ﷺ وَهُوَ يَسُوقُ غَنَمًا لَهُ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالُوا : مَا سَلَّمَ عَلَيْنَا إِلَّا لِيَتَعَوَّذَ مِنَّا ، فَعَمَدُوا إِلَيْهِ فَقَتَلُوهُ ، وَأَتَوْا بِغَنَمِهِ النَّبِيَّ ﷺ ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ﴾ (أحمد ، 1998م : رقم الحديث : 1919) .

عَنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَدْرَدٍ عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَدْرَدٍ قَالَ : بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّه ﷺ إِلَى إِضَمَ ، فَخَرَجْتُ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيهِمْ أَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثُ بْنُ رِبْعِيٍّ ، وَمُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ بْنِ قَيْسٍ ، فَخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَطْنِ إِضَمَ ، مَرَّ بِنَا عَامِرٌ الْأَشْجَعِيُّ عَلَى قَعُودٍ لَهُ مُتَيْعٍ وَوَطْبٌ مِنْ لَبَنٍ ، فَلَمَّا مَرَّ بِنَا سَلَّمَ عَلَيْنَا ، فَأَمْسَكْنَا عَنْهُ ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ مُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ فَقَتَلَهُ بِشَيْءٍ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ، وَأَخَذَ بَعِيرَهُ وَمُتَيْعَهُ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ ، وَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ نَزَلَ فِينَا الْقُرْآنُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ . (أحمد ، 1998م: رقم الحديث : 22756) .

4,8,3,2 وجه الدلالة من الآية :

من الضرورات الخمس التي اجمعت عليه أمم الأرض من يوم خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة ، حفظ النفس وعدم الاعتداء عليها ، ولهذا شدّد في عقاب من قتل نفساً بغير حق في الدنيا والآخرة .

فعقابه في الدنيا إزهاق نفسه، كما أزهق نفس غيره ، قال تعالى:﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (سورة المائدة ، الآية :45) . هذه الآية وإن كانت نزلت في بني إسرائيل ، فهي ثابتة في حقنا ، لأن شرع من قبلنا إذا لم يخالف شرعنا ، فهو شرع لنا على الصحيح من أقوال العلماء ، ومحل مبحث هذا في علم أصول الفقه ، ومع ذلك لم أسقها هنا للاستدلال بها مستقلة ، فعندنا في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ القولية والفعلية وفي إجماع الأمة ، ما لا يدع مجالاً للشك فيه .

وفي حديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةَ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ ، الثَّيِّبُ الزَّانِي ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ * (أحمد ، 1998م: رقم الحديث : 3438) .

وعقابه في الآخرة ، غضب الله عليه والخلود في نار جهنم ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (سورة النساء ، الآية :93).

ونهى الله تعالى المجاهدين في سبيل الله عن قتل من رفعوا على رأسه السيف في ميدان القتال ، بمجرد قوله : لا إله إلا الله ، كما في الآية (94) المذكورة في سورة النساء .

وقد عاتب الرسول ﷺ من خالف هذا الأمر قبل نزوله ، ولو متأولاً ، كما في حديث أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِي اللَّه عَنْهمَا يَقُولُ : بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّه ﷺ إِلَى الْحُرَقَة ، فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَكَفَّ الْأَنْصَارِيُّ فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ اللَّه ﷺ فَقَالَ : يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، قُلْتُ كَانَ مُتَعَوِّذًا ، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ * (البخاري 1378هـ ، رقم الحديث : 3935) .

ومعنى هذا أنه لا يحل للمسلم أن يقتل إنساناً بغير حق ، إذا دلت ظهرت منه قرينة تدل على احتمال أن يكون مسلماً ، ولها جاء التعبير في الآية ﴿ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ ﴾ فالأصل أن هذا شعار المسلمين ، واحتمال أن صاحبه غير مسلم ، ليس مسوغا لقتله .

4,8,3,3 وجه الاستدلال من الآية :

ووجه الاستدلال من الآية الكريمة تتلخص فيما يلي :

1) مشروعية الضرب في الأرض للتجارة أو الجهاد في سبيل الله عز وجل.

2) وجوب التبين والتثبيت قبل الإقدام على سفك الدم . (الجزائري ،2003م:247/1) .

3) وجوب أخذ الناس بظوارهم ونكل إلى الله سرائرهم .

4) من أظهر الإسلام أجريت عليه أحكام المسلمين فعصم ماله ودمه .

5) تحريم التشكيك في النوايا ، والتفتيش عمّا في الصدور .

6) من ترك شيئاً لله عوضه الله خير منه .

7) وجوب تأمين المسلم على دمه وماله بمجرد النطق بالشهادة .

Prince of Songkla University Pattani Campus

8) الاعتبار بالحالة السابقة وبذل الأعذار للناس .

9) عظيم منّة الله على المؤمنين بإعزاز الدين وإظهار أهله .

10) إثبات الاسم الكريم الحسن لله عز وجل (الخبير) أي ذو العلم التام والضبط الكامل للأمور كلها . (عبد الحي يوسف ، 2004م :ص45) .

11) ذم الرغبة في الدنيا لاسيما تتعارض مع التقوى .

12) الاتعاظ بحال الغير والاعتبار بالأحداث المماثلة . (الجزائري ، 2003م:247/1) .

4,8,4 الآية الرابعة :

قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (سورة يونس ، الآية : 25) .

4,8,4,1 وجه الدلالة من الآية :

ما أجمل دعوات السلام في كل كتب الانبياء وحواريهم ، دعوات رقيقة يتصافح البشر بينهم ، ليس بالأكف فقط يتصافحون ، بل بقلوبهم يتشاركون الألم والمشاعر ، ليس فقط بل لقمة الخبز التي اعطاها الله للبعض ليختبرهم في برِّهم للباقين من اخوتهم ، يتشاركون الجوار في الأرض الواحدة التي جعلها الله سكن لكل البشر إلى حين يتشاركون البر والبحر .

والسلام اسم من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا ، هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام ، الله ﷻ هو السلام المتنزه عن النقائص والعيوب ، لا يعتريه

Prince of Songkla University Pattani Campus

موت ولا فناء ولا سهو ولا نسيان ، أنشأ كونه على السلام ، فلا يتصارع الليل على النهار ، ولا الشمس ولا القمر ، كل في فلك يسبحون.

السلام هو غاية الإسلام هده الشريعة التي شرعها الله لعباده لنشر السلام في البشرية ، ولا يصح إسلام بدونه ، فقد قال رسول الله ﷺ : " الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ " . (البخاري ، 1378هـ: رقم الحديث : 9) .

السلام هو الموصل لدار السلام ، الله جل وعلا أعد دار السلام جزاء لمن أفشى السلام ، فالمسلم حينما يفشي السلام ويكون متخلقاً به في أقواله وأفعاله في الدنيا يثيبه الله تعالى على دلك بالسلام بداية من أجر عهده بالدنيا وبداية دخوله في الآخرة ، عند سكرة الموت تحييه الملائكة بالسلام . (محمد صبحي حامد الزفزاف[132] 2001م) .

النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة صريحة في تأكيد المحبة بين البشر ونبد العداوات ، وأن دعوة الإسلام للسلام دعوة عالمية وأن رسالته عامة للناس أجمعين ، لقد كان الإسلام حريصا على السلام العادل بكل وسيلة تقيم هدا السلام ، فأما من غوى فقد وجب ردعه لدا جاء الإسلام بالوازع والرادع معاً ، وليدكر المسلم أن العفو والسلام لم يكن مزلة وضعفا واستسلاماً . (عبد الرزاق الحربي[133] 2004م) .

4,8,4,2 وجه الاستدلال من الآية :

ووجه الاستدلال من الآية الكريمة تتلخص فيما يلي :

1) الترغيب في الجنة والدعوة إليها .
2) تسمية الجنة دار السلام التي هي زالة من الآفات والنقائص والنكبات .
3) دخول الجنة يقتضي الإيمان والعمل الصالح وترك الشرك والمعاصي .

---

[132] مقال بعنوان (الجنة دار السلام) من موقع : www. Islam way .com

[133] مقال بعنوان (الدعوة إلى السلام) من موقع : www. Almnar .com

Prince of Songkla University Pattani Campus

4) فضل الله على عباده ورحمته بهم إد يدعوهم إلى داره لإكـــرامهم والإنعـــام عليهم . (الجزائري ، 2003م: 511/1) .

Prince of Songkla University Pattani Campus